تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

الشريط الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: والفتن التى تُعرض على القلوب هى أسباب مرضها، وهى فتن الشهوات وفتن الشبهات، وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصى والبدع، وفتن الظلم والجهل.

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من أسباب مرض القلوب وقسوتها وموتها ما يعرض لها من الفتن، والفتن على قسمين:

- فتن الشبهات: وهذه تكون في العقيدة، شبه أهل الضلال وأهل الزيغ وأهل الإلحاد وأهل التصوف وأهل الشرك، هذه تكون شبهات، وهذه أشد أنواع الفتن، فتن الشبهات.
- والنوع الثاني فتن الشهوات: التي تشتهيها النفس، وهي محرمة كشهوة الزنا وشهوة شرب الخمر وشهوة الغيبة والنميمة وشهوة الحسد وما أشبه ذلك، هذه فتن شهوات، وهي فتن محرمة؛ ولكن هذه الفتن تعرض لأهل الفسق وأهل المعاصي.

أما الفتن الأولى تعرض لأهل الزيغ والضلال، كاما قال الله جل وعلا في سورة التوبة: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ يعني بنصيبكم من هذه الشهوات ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ هذه فتنة الشبهات، خضتم في العقيدة كالذي خاضوه من قَبلَكم في عقائدهم ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٦٩﴾ [التوبة: ٦٩] هذا الصنف من الناس والعياذ بالله.

فعلى المسلم أن يحذر من فتن الشهوات لأنها كثيرة مغرية، فتنة حب المال، فتنة حب النساء، فتنة حب الأولاد، فتن لا تحصى، فتن كثيرة، فتنة النظر إلى ما حرم الله، فتنة الاستماع إلى ما حرم الله، فهي كثيرة، هذه فتنة الشهوات.

وفتنة الشبهات هذه تكون في العقيدة، ما يعرض لها من التشكيك، وما يعرض لها من الزيغ والضلال، ودعاة السوء وما أكثرهم في هذا هذا الزمان، وفي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والمواقع والتويترات، وما أشبه ذلك، هذه صارت في أيدي أهل فتنة الشبهات، يلقون فيها شرهم، وينشرون فيها فيصل إلى كل من ينظر أو يسمع هذه الوسائل، فيقع في فخها إلا من رحم الله عز وجل، فالأمر عظيم وخطير جدا، والضحية هي القلوب، كل هذه تكون ضحيتها القلوب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله كما قال النبي ﷺ « إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »

ولا شك أن دعاة الضلال يركزون على هذا النوع من الفتن، فتن الشبهات، ويجعلون له برامج ويجعلون له أناسا متخصصين، يجعلون له مناظرات ...الخ.

ثم من بعدهم أصحاب فتنة الشهوات الذين يعرضون شهوات النفوس على الناس، فيقع فيها الكثير لأن كثيرا من النفوس تحب الشهوات، فإذا لم يكن عندها إيمان قوي فإن هذه الشهوات تغلب عليها فيقعون فيها، نعم.

المتن: والفتن التى تعرض على القلوب هى أسباب مرضها، وهى فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصى والبدع، فتن الظلم والجهل.

الشيخ: كلها ترجع إلى الفتنتين، فتن الشبهات وفتن الشهوات.

المتن: فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد.

الشيخ: الأولى: توجب فساد القصد والإرادة :يعني الشهوات، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد: هذه الشبهات.

المتن: وقد قسم الصحابة رضى الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ، فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

الشيخ: أجرد يعني متجرد من هذه الفتن، فيه مثل السراج يزهر مستنير، هذا قلب المؤمن.

المتن: « وَقَلْبٌ أَغْلَفُ، فَذلِكَ قَلْبُ الكَافِرِ».

الشيخ: قلب الكافر قد غلف، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يعني مغلفة والعياذ بالله، ما يصل إليها كلامك يا مُحَمَّد،مغلفة ما نسمع كلامك ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

﴿ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم، ما نسمعك ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ والعياذ بالله ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾[فصلت: ٥] هذا القلب الأغلف، يعني عليه غلاف ما يصل إليه حق ولا نور، لأن الغلاف حجبه ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤] الران كذلك هو الغلاف ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم على قلوبهم ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٧] وهذه قلوب الكفار، نعم

المتن: « وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، فَذلِكَ قَلْبُ المُنافِقِ»

الشيخ: المنافق قلبه منكوس إلى الأسفل مثل الكوز كما في الحديث الذي سبق، مثل الكوز المكفي على الأرض ما يمسك شيئا ولا يستقر فيه شيئا لأنه منكوس، تنصحه أو ما تنصحه، أو إقرأ أو لا تقرأ، هذا منكوس، قدح مكفي، ما يمكن يمسك شيئا من الماء، يزول عنه الماء يمينا وشمالا، هذا قلب المنافق، نعم.

المتن: « وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، فَذلِكَ قَلْبُ المُنافِقِ عَرَفَ ثمَّ أَنْكَرَ، وَأَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ».

الشيخ: لماذا صار منكوسا؟.. لأنه انتكس، عرف الحق ثم أنكره فانتكس، فصار رأسه أسفله وصار أسفله رأسه والعياذ بالله.

المتن: « عَرَفَ ثمَّ أَنْكَرَ، وَأَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ، وَقَلْبٌ تَمُدُّهُ مَادَّتَانِ»

الشيخ: القلب الثالث بين وبين، فيه حياة وفيه موت.

المتن: « وَقَلْبٌ تَمُدُّهُ مَادَّتَانِ: مَادَّةُ إِيمَانٍ، وَمَادَّةُ نِفَاقٍ، وَهُوَ لما غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا»

الشيخ: فإن غلبت عليه مادة الإيمان صار مؤمنا وإن غلبت عليه مادة النفاق صار منافقا فهو معرض.

المتن: فقوله "قلب أجرد" أى متجرد مما سوى الله ورسوله.

الشيخ: أجرد: أي متجرد مما سوى الله ورسوله، لا يسمع إلا كلام الله ولا يسمع إلا كلام الرسول ﷺ، وما عداه من اللغو والباطل واللهو فهو يعرض عنه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ماهو سلام تحيه، سلام متاركة، أبعدنا

عنكم ﴿ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٥] وعباد الرحمن إذا مروا باللغو مروا كراما لا يلتفتون إليه، ولا يقعدون في مجالسه، وإنما يمرون مجرد مرور، وهم عابرون.

المتن: فقوله "قلب أجرد" أى متجرد مما سوى الله ورسوله فقد تجرد وسلم مما سوى الحق و "فيه سراج يزهر" وهو مصباح الإيمان.

الشيخ: نعم مصباح الإيمان، الإيمان نور في القلب، ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ هذا الإيمان في قلب المؤمن، ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ وهي الكوة: الفتحة في الجدار ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ يصير هذا أقوى للنور لأنه محجوب من هنا وهنا، فينبثق النور منه، ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ تصفي النور أيضا ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أي ساطع، تشوفون الكوكب في السماء، ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ شجرة الوحي، يعني السراج هذا وهذا المصباح مادته التي تشعله شجرة مباركة، ماهي؟ ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ لأن زيت الزيتون هو أحسن زيت للمصباح، ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ ﴾ هذه الشجرة منبتها متوسط، متعرض للشمس إذا أشرقت وإذا غربت دائما متعرض للشمس، لأن الشجر يعيش على الشمس، مثل ما يعيش على الماء يعيش على الشمس، وشجرة الظل تكون ردية، ومعروف شجر الظل، خلاف الشجر الذي يتعرض للشمس هذا يصير قوي، ويصير مثمر، ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ تأتيها الشمس من كل جهة من جهة الشرق أو من جهة الغرب ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ من صفاءه ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ نور المصباح ونور المشكاة ونور الزجاجة ونور الزيتون الصافي نور على نور، ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥] أين نجد هذا النور؟ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ يوجد في المساجد ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ النور:[٣٦ – ٣٧] هذا هو موطن القلب الحي المؤمن موطنه في بيوت الله عز وجل﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ والخوف من الله عز وجل.

أما القلب الفاسد فهذا موطنه في المسارح والملاهي وبيوت الدعارة وبيوت الفحش، هذا موطنه والعياذ بالله.

المتن: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل فى غلافه وغشائه.

الشيخ: شوف قلب الكافر مغلف مختوم عليه، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[البقرة: ٧] ما يصل إليه شيء، قلب المنافق منكوس، عرف ثم أنكر فانتكس، عرف الحق ثم أنكره فانتكس قلبه، صار أسفله أعلاه وأعلاه أسفله والعياذ بالله، نعم شوف هذه القلوب قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، هذا قلب المؤمن، قلب أغلف هذا قلب الكافر، قلب منكوس مجخي كما سبق في الحديث «كالكُوزِ مُجخِّيا» فهذا قلب المنافق، تعالى شوف قلبك، أي هذه القلوب هو؟ إعرض قلبك على هذه القلوب.

المتن: وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل فى غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان.

الشيخ: لا يصل إليه شيء ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[البقرة: ٨٨] هذا هو السبب ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]

المتن: كما قال تعالى، حاكيا عن اليهود﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ﴾[البقرة: ٨٨].

الشيخ: يعني مغلفه ما يصل إليها كلامك ولا القرآن، ما يصل إليها هذا معنى، وقيل: غلف يعني مليانه من العلم ما نحتاج إلى علمك وما جئت به، ولا نحتاج إلى القرآن ولا نحتاج إلى شيء.

المتن: كما قال تعالى، حاكيا عن اليهود ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[البقرة: ٨٨] وهو جمع أغلف، وهو الداخل فى غلافه، كقلف وأقلف، وهذه الغشاوة هى الأكنة التى ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله.

الشيخ: نعم لما أعرضوا عن قبول الحق ختم الله على قلوبهم عقوبة لهم، ولما سمعوا القرآن ولم يؤمنوا به الله سبحانه وتعالى غلَّف قلوبهم فلا تقبل شيئا ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] فالإنسان هو السبب في حياة قلبه، في مرض قلبه، في موت قلبه، هو السبب.

المتن: وهذه الغشاوة هى الأكنة التى ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم.

الشيخ: عقوبه لهم لا ظلم لهم، الله لا يظلم أحدا، إنما جزاهم الله على فعلهم وهو عدم قبولهم للحق وعد إصغائهم إليه ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥] شوف بسبب الظلم، ماهو من الله ولكن هم ظلموا أنفسهم.

المتن: عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله.

الشيخ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠] السبب ما هو؟ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لما سمعوه، لم يصغوا إليه لولم يعبأوا به، وأعرضوا عنه، والله جل وعلا قلّب قلوبهم وأفئدتهم، فليحذر الإنسان من أنه يسمع الحق ولا يقبله ولا يمتثل له، لئلا يصاب بهذه المصيبة.

المتن: فهى أكنة على القلوب ووقر فى الأسماع، وعمى فى الأبصار.

الشيخ: والوقر هو الصمم.

المتن: فهى أكنة على القلوب ووقر فى الأسماع، وعمى فى الأبصار.

الشيخ: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعني ما هم عميان ما يشوفون الجدران؟ لا، لا يبصرون بها الحق وإن كانوا يبصرون الجدران والطرق مثل بصر البهائم، البهائم أيضا تبصر، تسلك الطرق وتتجنب الخطر، هؤلاء مثل البهائم بصرهم لا يتجاوز أمور دنياهم وشهواتهم، لا يبصرون بصرا نافذا، إعتبار، واستدلال بآيات الله الكونية على عظمته وقدره، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ

﴿ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥ -١٠٦] ما تنفعه الآيات ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني من الآيات ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠١ – ١٠٢] الإنسان إذا عرف الق ولم يقبله فإنه عرض نفسه للعقوبه العاجلة كحالة الأمم السابقة لما عصت رسلها فلم تقبل منهم، أهلكهم الله جميعا، كقوم نتوح وعاد وثمود ﴿﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

المتن: فهى أكنة على القلوب ووقر فى الأسماع، وعمى فى الأبصار وهى الحجاب المستور عن العيون فى قوله تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]

الشيخ: نعم هذا الذي يسمع القرآن ولا يُصغي له ولا يلتفت إليه، إنما يقرأ القرآن للطرب والتلذذ بالنغمات، ولا يقرأه للتدبر والاعتبار والعمل به، ما كل من قرأ القرآن يكون تابع للقرآن ولا مصغيا له، وإنما غرضه لذة التلاوة والصوت، وفلان أحسن من فلان صوت، فلان صلوا وراه صوته زين، بس صوته زين؟!! ما يكفي هذا، صلوا وراء من يتقن الصلاة ويخشى الله تعالى، صلوا خلف هذا، ما تصلون خلف اللي صوته زين وبس.

المتن: وهى الحجاب المستور عن العيون فى قوله تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]

الشيخ: أن يفقهوا القرآن ويتدبروه

المتن: ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾

الشيخ: يعني صمم لا يسمعون سماع قبول ،وإنما يسمعون سماع بهائم، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ [البقرة: ١٧١] مثل البهائم تسمع صوت الراعي تتبعه وهي ما تدري ما يقول؛ لكن تمشي على الصوت فقط، هذا مثل الذي يسمع القرآن يتلذذ بنغماته لكن لا ينتفع به، والعياذ بالله.

المتن: فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولّى أصحابها على أدبارهم نفورا.

الشيخ: إذا ذكر في القرآن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ، والنهي عما عليه أهل الباطل، ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾ [الإسراء: ٤٦] لا تتعرَّض لما هم عليه ولا تسب ما هم عليه من الشرك وعبادة الأصنام، لو تعرضت ولوا أدبروا عنك، ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] فأبغض ما يسمعون في القرآن النهي عن الشرك وعبادة القبور وعبادة الأضرحة وعبادة الأصنام هذا أبغض ما يستمعون إليه، خلنا على ما نحن عليه.. لاتتعرَّض لما نحن عليه... ، خلنا لما نحن عليه هذا ما يصلح.

المتن: وأشار بالقلب المنكوس- وهو المكبوب- .

الشيخ: أشار يعني حذيفة رضي الله عنه

المتن: وأشار بالقلب المنكوس- وهو المكبوب- .إلى قلب المنافق، كما قال تعالى:﴿* فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ [النساء: ٨٨]أى نكسهم وردهم فى الباطل الذى كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة.

الشيخ: ﴿* فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾يعني يختلفون، مترددين في شأنهم، ما يحتاج تردد ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا﴾ نكَّسهم ونكَّس قلوبهم فلا جدال فيهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ

﴿أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣] الهداية بيد الله يمن بها على من يشاء، لمن أصغى إلى الحق ورغب فيه، وأما من أعرض عنه ولم يقبله فإنه إنما يسمعه سماع البهائم، كما تسمع البهائم صوت الراعي، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يعني يصوّت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً﴾ يعني صوت فقط ﴿وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧]

المتن: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا۟ ۚ﴾ [النساء: ٨٨] أى نكسهم وردهم فى الباطل الذى كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة

الشيخ: بما كسبوا، الله ما ظلمهم وإنما أركسهم بكسبهم الكفر والضلال والعياذ بالله.

المتن: فهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد.

الشيخ: نعم المنافق شر من الكافر الخالص، لماذا؟ لأن الكافر الخالص عرفنا أنه كافر فأخذنا حذرنا منه أما المنافق فهو يتزيّا بزيّنا، ويتكلم بكلامنا، ويذكر الله معنا، ويصوم معنا ويصلي معنا، خداعا ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩] فالمنافق شر من الكافر؛ ولذلك صار المنافق في الدرك الأسفل من النار، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] أسفل شيء من النار فيه المنافقون، تحت عبدة الأصنام، تحت المشركين؛ لأنهم شر من الكفار والمشركين، أولئك صرحوا بكفرهم وعرفناهم واتخذنا حذرنا منهم، تعاملنا معهم على أنهم كفار ؛ وأما هؤلاء نتعامل معهم على أنهم مؤمنون مسلمون وهم غير مسلمين ولا مؤمنين ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٩] ولذلك ذكر الله في مطلع سورة البقرة أربع آيات في المؤمنين، وذكر آيتين في الكفار الخلّص، وذكر بضع عشرة آية في المنافقين، لخطرهم وشرهم.

المتن: وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقا ويوالى أصحابه، والحق باطلاً ويعادى أهله، فالله المستعان.

الشيخ:نعم هذا المنافق.

المتن: وأشار بالقلب الذى له مادتان إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله.

الشيخ: ذكر حذيفة رضي الله عنه أربع قلوب، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وهو قلب المؤمن وقلب أغلف وهو قلب الكافر، وقلب منكوس وهو قلب المنافق، الرابع: قلب فيه إيمان وفيه نفاق هذا فيه رجاء أنه يُعالج ويتوب إلى الله ويرجع، وفيه خطر أنه يهلك في نفاقه بين بين، ما تخرج القلوب عن هذه الأقسام الأربعة.

المتن: وأشار بالقلب الذى له مادتان إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان.

الشيخ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[آل عمران: ١٦٧]فدل على أن من أهل القلوب من يكون أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان فهذا أخطر ما يكون.

المتن: فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع.

الشيخ: إن غلب عليه مادة الإيمان نجا وسلم، وإن غلب عليه مادة الكفر هلك، ولذلك أسباب، إذا كان يعاشر أهل الكفر ويخالطهم ويجالسهم ويستمع لهم ويستمع للضلال فهذا حري أنه ينتكس قلبه ويذهب ما فيه من مادة الإيمان، محاها ومسحها، وإن كان يجالس أهل الخير ويستمع الذكر ويستمع القرآن ويستمع المواعظ والتذكير، ويخالط أهل الخير ويصاحبهم، فهذا حري أن يهديه الله، وأن يخلُص الإيمان في قلبه وتذهب منه المادة الخبيثة.

والله كلام حذيفه هذا ثمين جدا رضي الله عنه وأرضاه، وهو فقيه في أمر الفتن؛ لأنه يخاف منها ويحذر منها، ويسأل عنها الرسول ﷺ، هو أكثر الصحابة سؤالا عن الفتن.

يقول رضي الله عنه: « كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مخافةَ أن يُدركَني » وهذا من فقهه رضي الله عنه، فالإنسان لا يأمن على نفسه، وإذا لم يعرف الشر وقع فيه.

عَرَفْتُ الشّرَّ لا لِلشّرِّ ,لَكِنْ لِتَوَقّيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الخَيرِ مِن الشّرِّ ,يقعْ فيهِ

يقول الإنسان والله أنا فاهم وعارف وأنا ما علي خطر، ولا راح نتعلم شبه الكفار وشبه الجهمية والأشاعرة والمعتزلة، وماذا أحتاج منها؟!! بعضهم يقول هذا، لا، إعرفها لأجل أن تتجنبها ولا تلتبس عليك شبهاتهم، إعرفها من أجل أن تتجنبها، وإلا تقع فيها، لاسيما وأنهم أهل فصاحة وأهل علم، وأهل حِجاج ومناقشة فلابد أن تكون عندك حصانه منهم، ولذلك نحن ندرس العقيدة، ندرس مذهب أهل السنة والجماعة، وندرس مذهب المعتزلة والجهمية والأشاعرة ومذهب الخوارج ومذهب المرجئة.

لماذا ندرس هذه المذاهب؟ محبة لها؟

لا؛ ندرسها لأجل أن نتجنبها؛ لكن لا يمكن أن نتجنبها دون أن نعرفها، لابد أن نعرفها، أنت لما تسير في طريق، وفي الليل أيضا، أنت لا تعرف هذا الطريق وما فيه من الحفر وما يعترضك من السباع والهوام، إذا لم تعرف هذا تهلك في أول خطوة؛ أما لو كنت على معرفة بالطريق تعرف ما فيه من الأخطار تأخذ حذرك، تتجنب الأخطار وتقاوم الأشياء التي تعترض لك، فلابد من معرفة طريقك في هذه الحياة.